

الموضوع السابع

الدولة العثمانية خلال الحرب الأولى

وظهور أتاتورك

دخلت الدولة العثمانية غمار الحرب الأولى في عام ١٩١٤م إلى جانب دول الوسط المكونة من ألمانيا والنمسا والمجر ضد دول الحلفاء المكونة من بريطانيا وفرنسا والروسيا وإيطاليا . ويرجع أسباب انضمام العثمانيين بجانب ألمانيا إلى ما يلي :

١ - إن صفحتهم كانت بيضاء مع العثمانيين بعكس بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا التي اقتلعت أجزاء من أراضي الدولة العثمانية ، ومزقت إمبراطوريتها^(١) واستهدفت تمزيق أركانها ، وضرب الشعوب الإسلامية عقديًا واقتصاديًا . فروسيا القيصرية كانت ترمي إلى تمزيق تركيا وتعمل على انتزاع مضيق الدردنيل الذي يربط البحر الأسود بالبحر المتوسط منها ، كما كانت تسعى للاستيلاء على استنبول . وبريطانيا كانت تعمل على انتزاع العراق وفلسطين من تركيا ، وتوطيد أقدامها في مصر^(٢) وفرنسا كانت تريد بجانب استيلائها على الجزائر وتونس ومراكش الاستيلاء على الشام ، أما إيطاليا فبعد استيلائها على ليبيا فإن تطلعاتها تجاه ممتلكات الدولة العثمانية لم تتوقف .

٢ - تزايد المصالح الألمانية داخل الدولة العثمانية بشكل كبير خلال العقود القليلة التي سبقت وقوع الحرب فكانت هناك قروض ألمانية ، وسكة حديد برلين بغداد التي يتولى الألمان تنفيذها ، كما كان تحديث الجيش الألماني يتم على أيدي خبراء من الألمان

١- عمر الديراوي : الحرب العالمية الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثامنة ١٩٨٢ ص ١٢٨ .

٢- هيئة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي : تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي (حزب البلشفيك) ، بيروت ، منشورات الفارابي ، ١٩٥٤ ص ٢٣٢ .

- وبتسليح ألماني^(١) مما هدد سيطرة إنجلترا على منطقة الشرق الأدنى .
- ٣ - عروض ألمانيا المتعددة لحل مشاكل الدولة العثمانية جعل العديد من أعضاء الوزارة العثمانية يميلون إليها ويرغبون في الوقوف بجانبها^(٢) .
- ٤ - إقحام أعضاء الاتحاد والترقي للدولة العثمانية في حرب ليس لها فيها ناقة ولا جمل .

- ومع أن الحكومة الإنجليزية قد بذلت جهودها لضمان حياد تركيا خشية انضمامها إلى ألمانيا وذلك بتقديم التزامات تتضمن استقلالها وعدم تجزئتها^(٣) ، فإن الحزب الحاكم في تركيا كان يريد الانضمام إلى جانب ألمانيا .
- ولكى تكسب الدولة العثمانية الوقت الذى يمكنها من الاستعداد لدخول الحرب بدأت في مماطلة الحلفاء فى الرد على مطلبهم بخصوص الوقوف على الحياد فى الحرب ، وعرضت عليهم شروطها كى لا تنضم إلى الألمان ومنها :
- ١ - إلغاء الامتيازات الأجنبية فى أراضيها .
 - ٢ - إعادة جزر الأرخبيل إلى السلطة العثمانية .
 - ٣ - حل القضية المصرية .
 - ٤ - وقوف بريطانيا وفرنسا ضد أطماع روسيا فى الدولة العثمانية .

- وبعد ثلاثة أيام من تقديم هذه الشروط جاء رد الحلفاء كما يلي :
- ١ - يرى الحلفاء إمكانية إلغاء الامتيازات الأجنبية عدا الامتيازات القضائية التى يكون فى إلغائها مساس بحقوق الأجانب القاطنين فى ممتلكات الدولة العثمانية .
 - ٢ - يرى الحلفاء أن يترك طرح مناقشة قضية جزر الأرخبيل إلى وقت ملائم .
 - ٣ - ترك حل القضية المصرية إلى ما بعد الحرب ، حتى يمكن حلها بطريقة مرضية لجميع الأطراف .

-
- ١- عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعننى : التاريخ المعاصر - أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٣ ، ص ٤٤٣ .
 - ٢ - المجموعة التاريخية المصورة : تاريخ الحرب العظمى ١٩١٤-١٩١٨م ج٦ ، تصريح لطلعت باشا وزير الداخلية التركى تحت عنوان "موقف تركيا قبل إعلان الحرب" ص ٢٢ .
 - ٣- وايم لاجر : موسوعة تاريخ العالم - ترجمة محمد مصطفى زيادة ج٧ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٦٩ ص ٢٣٩٢-٢٣٩٣ .

٤ - تعهد الحلفاء بتأمين سلامة الدولة العثمانية وتأييد استقلالها(١) .

وعلى كل حال فبعد أن بدأت الدولة العثمانية فى استكمال استعداداتها حيث قامت بتعبئة نصف مليون جندى ، وتدريب حوالى ربع المليون(٢) ، أعلنت عن عزمها الاشتراك الفعلى فى الحرب إلى جانب دول الوسط ، كما أعلن السلطان العثمانى بصفته خليفة المسلمين الجهاد ضد الحلفاء فى كافة البلدان الإسلامية التى يسيطرون عليها ، وأصدر أوامره بمهاجمة الحلفاء فى الجبهات التالية :

- ١- الجبهة القوقازية الأناضولية .
- ٢- الجبهة البلقانية .
- ٣- جبهة الخليج العربى والعراق وفارس .
- ٤- جبهة قناة السويس والشام .
- ٥- جبهة اليمن(٣) .

وقد قام الأتراك فى بداية الحرب بأعمال حربية باهرة بمساندة الألمان(٤) فقام الأسطول التركى بضرب الموانى الروسية على البحر الأسود ، كما بدأت القوات التركية فى صد الزحف الروسى على القوقاز ، والتقدم نحو روسيا فى محاولة لتطويق جيشها(٥) ، كما حاولت التقدم تجاه قناة السويس .

ثم تطورت الأمور فى ربيع عام ١٩١٥ فتجمدت الجبهة الألمانية الفرنسية بعد أن توقفت ألمانيا عن محاولتها للاستيلاء على الأراضى الفرنسية نتيجة لعدم التمكن من تحقيق أى انتصار فعلى ، كما تعرض الروس لانكسار شديد ، يضاف إلى ذلك قيام الإنجليز بتركيز ضرباتهم على الجبهة التركية ومحاولتهم احتلال شواطئ الدردنيل(٦) ، واستمر القتال هناك عدة أشهر ولكى يتمكن الحلفاء من وقف الدعوة إلى الجهاد التى أطلقها السلطان العثمانى ، وتشقتت شمل الصف الإسلامى قام الإنجليز بالاتصال

١- المجموعة التاريخية : المرجع السابق ج٤ تحت عنوان "الحلفاء يسترضون تركيا" ص٢٠-٢١ .

٢- المجموعة التاريخية : المرجع السابق ج٥ مقال تحت عنوان "المعارك الحربية فى القوقاز" .

٣- نوار ونعنى : المرجع السابق ص٤٤٨ .

٤- كارل بروكلمان : الإسلام فى القرن التاسع عشر- ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثامنة ١٩٧٩م ص٦٠٣-٦٠٤ .

٥- المجموعة التاريخية : المرجع السابق ج٥ مقال تحت عنوان "المعارك الحربية فى القوقاز" .

٦- أمين سعيد : ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم ج١ ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م

شريف، حسن سير مكة المكرمة ، و عرضوا عليه التعاون ضد الأتراك في نظير
وعردهم له بتخليص العرب من نير الحكم التركي (١) ، ونتيجة لذلك دخل الشريف حسين
تحرب ضد الأتراك واستطاع الاستيلاء على معظم مدن الحجاز ، كما استطاعت جيوش
انورة العربية إحباط حملة تركية ألمانية اتجهت إلى الجزيرة العربية ، وحالت بينها وبين
السيطرة على عدن (٢) . أما عن جبهة العراق وفلسطين فقد كانت قدرات الأتراك على
اصمود أمام الجيوش البريطانية محدودة ، خصوصا وأن الثورة العربية الكبرى كان لها
أكبر الأثر في الحد من قدرتهم على المواجهة حيث فصلت القوات التركية المتمركزة في
اليمن عن القوات الرئيسية في الحجاز والشام وسقطت العقبة في يد الإنجليز في ٦ من
يوليو ١٩١٧ ، وناقس في ٩ من ديسمبر ١٩١٧م ثم تلى ذلك سقوط دمشق وبغداد (٣) .
وعس جبهة الدردنيل فقد ظلت الحرب مستعرة ، ولم تكمل الغلبة لواحد من
الطرفين ، وإن كان مصطفى كمال قد استطاع تملك زمام الموقف وتعبئة الروح المعنوية
والثباتية لدى جنوده خصوصا بعد أن حل محل القائد الألماني 'ساندروس' (٤) .

ونتيجة لخروج الدولة العثمانية من الحرب مكسورة الأجنحة ممزقة الأوصال فقد
اتفق الحنء في مؤتمر 'سان ريمر' في أبريل ١٩٢٠م على اقتسام أبلدان العربية التابعة
لتركيا فيما بينهم ، كما اتفقوا في معاهدة 'سيفر' على تقسيم أملاك الدولة العثمانية الأوربية
فيها بيها أيضا فأعطيت اليونان معظم أملاك الدولة العثمانية الأوربية عدا القسطنطينية
وحر مرمره ، وجعلت القسطنطينية تحت وصاية لجنة دولية ، وأجبر السلطان العثماني
وحيد الدين على التوقيع على هذه المعاهدة التي لو لم نفذت بزودها لكانت تركيا أثرا بعد
عين مما جعل الرأي العام التركي يثور على السلطان وأدى إلى إبراز دور كمال أتاتورك
ورجاله الذين تمكنوا من دحر القوات اليونانية وتفريق شملها ، يضاف إلى ذلك أن
الانجليز الذين أرادوا أن يجعلوا من أتاتورك بطلا في نظر الشعب التركي حتى يتمكن
من القبض على زمام الأمور في تركيا ويساعد على تحقيق مطالبهم انسحبوا فجأة
وبطريقة مريبة من ساحل غاليبولي وتركت سفنهم الحربية مواقعها بسرعة

١- عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٣
ص ٨٥ .

٢- زاهية قنورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٥م ص ٢٥٢ .

٣- نوار ونعنى : المرجع السابق ص ٤٦٩ .

٤- درلجبرت فون ميكوش : مصطفى كمال المثل الأعلى - ترجمة كامل مسيحه - بيروت ، المكتبة
الأهلية ، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ص ١٣٢-١٤٥ .

٥- نوار ونعنى : المرجع السابق ص ٤٩٠ .

مذهلة (١) مما أدى إلى استرداد الأتراك للعديد من المواقع وانتصار قوات أتاتورك (٢) . ونتيجة لذلك بدأ نجم أتاتورك في البروز وبدأ الناس يتحدثون عن شجاعته وبطولته ، وانتهى الأمر بعقد معاهدة لوزان ١٩٢٣م التي أبقّت لتركيا الأناضول وأدرنة والقسطنطينية وأخرجت ما بيدها من البلدان العربية (٣) .

وفى أعقاب ذلك أعلن مصطفى كمال فصل السلطنة عن الخلافة ثم قام بانقلاب ضد السلطان وحيد الدين ، وعزله بالقوة وأحل محله خليفة عثماني آخر وهو السلطان عبد المجيد بن عبد العزيز في عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٧ من نوفمبر ١٩٢٢م ، وفى أعقاب ذلك بدأ التخطيط لإلغاء الخلافة وإعلان علمانية الدولة ، تقرر مصطفى كمال إعلان الجمهورية ، وتم اختياره رئيساً لها (٤) . وفى عام ١٣٤١هـ الموافق أول مارس ١٩٢٤م قام مصطفى كمال بدعوة المجلس الوطني ، وتقرر فيه طرد الخليفة وإلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، والأخذ بالقانون المدني السويسري ليكون بديلاً عن القانون الإسلامي فى الأحكام الشرعية (٥) ، ونقل عاصمة الدولة إلى أنقرة ، ونتيجة لذلك عادر السلطان عبد المجيد آخر خليفة عثماني تركيا إلى سويسرا (٦) ، كما ألغيت الوظائف الدينية والشرعية ، وأصبحت الأوقاف ملكاً للدولة مما أثار موجة عنيفة من السخط والغضب فى كافة الأوساط الإسلامية .

وهكذا زالت الدولة العثمانية من الوجود ، وأصبحت أثراً بعد عين .

-
- ١- على حسون : الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية ، بيروت ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولى .
 - ٢- دا جويرت فون ميكوش : المرجع السابق ص ١٣٧ .
 - ٣- لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى - ترجمة عجاج نويبيض ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ ص ٣٢٦-٣٢٧ .
 - ٤- محمد محمد توفيق : كمال أتاتورك ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٣٦ ص ١٣٩ .
 - ٥- محمود شاكر : مواطن الشعوب الإسلامية فى آسيا - تركيا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ص ٥٤ .
 - ٦- محمد توفيق : المرجع السابق ص ١٤٠ .